وقصد الاسكندريّة ايضاً يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق (+ ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيّة الى العربية وصنّف كتباً شتى أخصّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائل بالسريانيّة ليؤيّدوهم في المنوفسيّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القمّص باسّا ورسالة الى قورا الرئيس والقمّص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيّة يعقوب السروجي المرسأ اليه ونسخها يوسف الداراوي سنة ٦٠٣ م في برية الصعيد. وقد ورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٤ ص ٩٠٢) ذكر رسالة وفدها بطريرك السريان (١) الى دير الانطونيّين والى اسيدور وثيودور ورسالة أخرى وفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية (لهُ صلة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

رقيّ بيروت في عهد الرومان

دخل الرومان بلاد الشام سنة ٦٤ ق م واستولى قائدهم بمبيوس على اقطارها

(١) لعلّه اثناسيوس الجمّال (+ ٦٣١)

ثمّ ضبط ايضاً سواحلها وجعل فينيقية احد اعمالها مبيداً لسلطة السلوقيين فيها . وكان ملكهم آنئذٍ انطيوخس الثالث عشر الملقّب بالآسيويّ وكان ضعيف الهمّة خائر القوى فلم يجسر ان يقوم في وجه الرومان

وكأنّ الرومان عرفوا ما تستعدّهُ بيروت من الرعاية وانها قابلةٌ للرقي فوجّهوا اليها منظرهم واخذوا يزينونها بالبنايات الفخمة المتنوعة . وممّا حدا بهم الى ذلك انّ الفينيقيّين كانوا يعتبرونها مدينةً مقدّسة خصّوها لاكرام البعل المسمّى على اسمها بعل بيروت او بعل بريت وقد اقاموا لهُ هيكلاً كبيراً على الجبل المشرف على مدينتهم في بيت مري وهو هيكل دير القلعة المكرّس لبعل مَرْقد الذي كان الفينيقيّون يحجّون اليهِ ثم حسّنهُ الرومان وزادوا في ابنيتهِ واعتبروهُ هيكلاً لجوبتر البعلبكيّ

ولمّا صار الامر لاوغسطوس قيصر خصّ بيروت بألطاف وهبات لم ينعم بها على غيرها . فولّى عليها القائد مرقس وسبسيانوس اغريبا بعد ان أزوجهُ بابنتهِ جوليا . وكان صهره مولعاً بالابنية الفخيمة . فلمّا تقلّد ولاية بيروت شملها بسوابغ النعم وجعلها من المدن الاوّليّة الراقية واستدعى اليها فرقتين من الجيوش الرومانية احتلّتا فيها وهما الفرقة الخامسة المعروفة بالمقدونيّة (Legio Macedonica) والفرقة الثامنة المنسوبة الى اوغسطوس قيصر (Legio Augusta) فأضحى لها ذلك ميزةً على بقيّة المدن الداخليّة . ثم منحها اوغسطوس امتيازات المستعمرات الرومانيّة وخوّل اهلها حقوق الوطنيّة وكان ذلك السنة ١٥ ق.م وسمّاها باسم ابنتهِ جوليا (Colonia Julia Augusta Felix Berytus) اي مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة بيروت وضرب باسمها نقوداً بيروتية على هذه الصورة(١ . وقد وجدت كتابات حجريّة على الصورة عينها وكذلك ورد في تاريخ پلينيوس الطبيعي (٢ ما يؤيد الامر فانهُ قال عن بيروت : « انها مجاورة نهر ماغوراس الجاري اليها من لبنان وهي مستعمرة تُدعى باسم جوليا السعيدة »

ولمّا رأى هيرودس الكبير ملك اليهود محبّةَ اوغسطوس لبيروت سعى هو ايضاً

١) اطلب مجموعة الكتابات اللاتينية CIL, n°° 161 etc

٢) اطلب كتابهُ Plinius : Hist. Nat. V, 17

الى تحسينها . وقد اخبر يوسيفوس في تاريخ الحرب اليهودية(١ انهُ شيَّد في بيروت النوادي الواسعة والأروقة الرحبة والهياكل والاسواق الفاخرة والحمامات والمخازن التجارية . فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والاجانب فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً . وفي مجلس بيروت جمع هيرودس محفلاً من الفقهاء والاعيان لمحاكمة ولديه اسكندر وارسطابولس ابني زوجتهِ مريمنة المكابيَّة فحكم عليها بالموت وقتلها ظلماً (٢

وورث هيرودس اغريبا الاول وهو حفيد هيرودس الكبير حبَّ جدهِ لبيروت فزانها بمبانٍ جديدة وصفها يوسيفوس المذكور في تواريخهِ (٣ فقال انَّ هذا الملك بالغ في اكرام اهل بيروت فشيَّد لهم مسرحاً كان يفوق على مسارح مدن كثيرة بجمالهِ وفخامتهِ وكذلك بنى لهم ميداناً فخماً وملعباً للحيوانات ومعاهد اخرى لم يدَّخر في بنائها شيئاً من مالهِ ليبلغها من المحاسن اجلَّها . وبعد إنجازها دعا الاهلين الى تدشينها فاقاموا لذلك مواسم واعياداً حفلة الغنى في ترويجها البالغ الوافرة فتبارَوا في المسرح الذي احتفلوا وتعدَّدوا فيه الملاهي وعزفت اصناف الآلات الطربية وتفكيهاً لحضور حكم على ١٤٠٠ من اصحاب الجنايات بان ينقسموا قسمين يقاتل بعضهم بعضاً ففعلوا حتى قُتلوا عن بكرة ابيهم . وتمَّ ذلك في الميدان الذي اعدَّه لتلك المبارزات القبيحة والمظنون انَّ موضع هذا المشهد كان على شاطئ البحر بقرب بناء الحصن المعروف بخان الصاغة حيث يُرى شيء من آثارهِ باقياً الى اليوم

وفي هذا الميدان نفسهِ نادى الجنود الرومانيُّون بقائدهم ڤيتيانوس امبراطوراً بعد وفاة نيرون فبايعهُ امراء الجيش والولاة وسار من هناك الى رومية ليتولى فيها زمام الملك . وفي الميدان عينهِ احتفل ابنهُ طيطوس بعيد مولد ابيهِ بعد فتحهِ لاورشليم بما لا مزيد عليهِ من الأبهة والمجد وامر بقتل جمٍ غفير من اسرى اليهود ارضاء وتفكيهاً للشعب

ثم خلف هيرودس اغريبا الاول ابنهُ هيرودس اغريبا الثاني فولَّاه الرومان

---

١) راجع كتابهُ Fl. Josephus. B.J. XXI, 11

٢) اطلب كتاب يوسيفوس الاديبات اليهودية id. Ant. Jud., XV et XVI

٣) في تاريخ الحرب اليهودية B. J. VII, 5

قسماً من سوريّة المجوّفة اي بلاد البقاع التي كانت حاضرتها عَنجر المعروفة سابقاً باسم كلسيس (Chalcis) مع بلاد البثنيّة شرقي دمشق. فجرى على مثال والده في تزيين مدينة بيروت بالآثار الجميلة مع انها لم تكن داخلة في نحوم مملكته فنصب فيها التماثيل ونقل اليها صور مشاهير القدماء من انحاء المملكة وشيّد فيها ٦٤ ناديًا جديدًا منها بناية المجلس البلدي التي يُستدلّ على شيء من آثارها عند باب الدركة بقرب رجال الاربعين واقام في مسرحها المشاهد السنويّة فصارت الملاعب والاعياد تحاكي في بيروت مواسم رومية ذاتها. وكان يوزّع على البيروتيين بسخاء القمح والزيت حتى اسرف في ذلك ولامه اهل دولته لبذاه خزائن المملكة في سبيل مدينة خارجة عن حكمه(١

وقد بقي من تلك المباني العجيبة الى يومنا آثار تنبئ بعظم شأنها أخصُّها اعمدة وسوار ضخمة ورؤوس أكلة منبثّة في انحاء المدينة او غائصة في بعض سواحل البحر وربّما يستخرجونها بالحفر عند فتح السكك. وكان عددها يبلغ الالوف في القرون السابقة كما يشهد على ذلك السيّاح في رحلاتهم

وما لا شكّ فيه انّ بيروت كانت مزدانة في عهد الرومان بأروقة مشيّدة على سوار ضخمة كانت تمتدّ على طول المدينة وتبلغ الى نهرها فيتجوّل الناس في ظلها صيفاً وشتاء. ومنها الآثار السابق ذكرها

وقد بقي من عهد الرومان في بيروت كتابات مختلفة منها مدفنيّة يرقى بعضها الى القرون الاولى للنصرانية باليونانيّة واللاتينيّة على بعضها رموز نصرانيّة كالصليب وسعف النخل ومنها مدنيّة وادارية كالانصاب الدالّة على مسافات الطريق الرومانيّة (milliaires) وكالآثار لشكر الآلهة لنعمة نالها عبدُهم او لمديح بعض الرؤساء(٢. ومعظم تلك الآثار لاسيما الأعمدة التي كانوا يزينون بها الهياكل والنوادي العموميّة كانت من الحجر المخبّب المعروف بالغرانيت كانوا يجلبونهُ من مصر بضفاء كبير. وبعضها من الرخام الوطنيّ الذي تُرى الى يومنا مقالعه في الجبل

١) تاريخ الحرب اليهوديّة B. J., XX, IX, 4

٢) اطلب مجموعة الكتب الشرقي MFO II³, 535-540

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت

سبق انّ للفينيقيين مزاعم خرافيّة تجعل بيروت كاحدى مدنهم المقدّسة وكان إلههم الكبير البعل خصّوا عبادتهُ بسمة وطنيّة تفرزه عن عبادة المدن الساحليّة الاخرى. فكانوا يعبدونه تحت اسم بعل بريت مرجعهُ الى البعل الاعظم كبير آلهة الفينقيين وانما خصّوه في كل مدينة بصفات لم يُعرف بها في سواها. وان استقصينا البحث عن ذاك المعبود الاصلي ظهر لنا جليًّا انما المُعنيّ به الطبيعة الهيولية بكل قواها فتُبدع وتُفني وتنشئ وتلاشي وتُحيي وتُميت. وكثيرًا ما تخيّلوا انه الشمس الفلكيّة فاقاموا لها مراسم الافراح في الربيع عندما تعود الطبيعة الى حياتها فتحييها بواسطة حرارتها. ولذلك اتّخذوا ايضاً النار رمزًا عن الاله الشمس فعظّموها كاحد اركان الطبيعة وقدّموا لها الذبائح والقرابين المختلفة بل لم يأنفوا ان يضحّوا اطفالهم الصغار لاكرامها وارضائها

واذ كان الفينيقيون يعتبرون البعل ذا مبدأين متمازين احدهما فاعلٌ والآخر مفعولٌ جعلوا الفاعل ذكرًا والمفعول انثى. وكما ان البعل كان لديهم كالاله العظيم كذلك اعتبروا عشتاروت كالإلهة الكبرى وربما أضافوا اليها إلهًا ثالثًا يدعونهُ طورًا ملكرت وتارة اشمون واحيانًا تموز او أدونيس

ولمّا رسخ قدم الرومان في سواحل فينيقية ورأوا فيها معبودات الفينيقيين لم يشاؤوا ان يعترضوهم في عبادتهم وانما ذهبوا الى أنها هي هي معبودات الرومان. ولنا على ذلك دليل محسوس في هيكل دير القلعة الذي كان مزارًا لاهل بيروت ومحجّهم الرسمي ففيه كان للفينيقيين معبدٌ كبير تُرى اثارهُ باقية حتى اليوم وهناك عبدوا البعل المسمى بعل مَرقد اشتقاقاً من لفظة فينيقية معناها الرقص واللهو كانهم كانوا هناك يجتمعون ليستسلموا الى الملاهي والقصف

فلما استولى الرومان على بر الشام اعتبروا هذا المعبود كالههم الاكبر وهو جوبتر اي المشتري. والدليل عليه كتابات شتى ذُكر فيها المشتري بعل مرقد كأنّ الاسمين لمسمًّى واحد

Maximo. Optimo. Jovi. Balmarcodi.

وكذلك اعتبر الرومان الآلهة الفينيقية عشتروت كالهتهم المسماة جونون المدعوة عندهم إلهة السماء. وكان الفينيقيّون ايضاً يسمّون عشتروت ملكة السماء. نصّ على ذلك سفرُ ارميا النبي (ف ٧ ع ١٨) ومن الادلة على الامر كتابات عديدة لاتينيّة وُجدت في دير القلعة وورد فيها مصرّحاً اسم «جونون» وقد اعتبروا في كتابات غيرها عشتاروت كالزُهرة المسماة عندهم ڤانوس (Vénus) يؤيد ذلك كتابتان وُجدت الواحدة قرب الشويفات والاخرى في جبلك ورد فيهما مع جوبيتر اسم ڤانوس ليس جونون. وفضلاً عن ذلك جاء في هاتين الكتابتين اسم الإله ثالث به يتم عدد الثالوث البعلبكي الذي كان يُعبد ايضاً في دير القلعة وهو الاله مزكور اي عُطارد. وقد اثبت ذلك حضرة الاب لويس جلابرت في مجموعة المكتب الشرقي(١ والاديب الفاضل ميخائيل افندي موسى الوف في دليل بعلبك. أمّا اسم هذا الالهُ الثالث عند الفينيقيين فلم يُعرف صريحاً حتى الآن (راجع مجلّة المشرق السنة العاشرة (١٩٠٧ ص ١٥٨–١٦١)

وكان لكل هذه المعبودات اعياد مختلفة في فصول السنة يحتفل بها الفينيقيّون عموماً والجبيليّون والبيروتيّون خصوصاً. وقد وصفها الاب هنري لامنس في كتابه تسريح الابصار في ما لبعلبك من الآثار

على ان هذه الاديان الكاذبة اندثرت مع ظهور المسيح في الحمرل والتنهقر ولدينا عدة شواهد تثبت كون بيروت نالها عاجلاً شيء من انوار الدين المسيحي منذ اول ظهور النصرانية. ففي تقليد قديم اثبتهُ الراهب الدومنيكاني بُرخارد في القرن الخامس عشر وقبلهُ كاتب الماني يدعى بَنْتباخ (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٨١–٩٨) يلوح منهُ بان السيد المسيح بلغ حتى ثغر بيروت لما بشّر بالانجيل في تخوم صور وصيداء كما روى الانجيليّان متى (١٥ : ٢١) ومرقس (٧ : ٢٤)

وقد بحث في هذه المسألة الاب ألفرد دوران اليسوعيّ في غضون وصفهِ لرحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٣١) فادّعى ان السيد المسيح دخل ثغر بيروت واثبت ذلك استناداً الى آية القديس مرقس حيث يقول في انجيله (٧ : ٣١) انّ يسوع بعد خروجه من صور «مرّ في صيداء وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل» فبيّن انّهُ لم يرجع القهقرى ليذهب الى المدن العشر لكنهُ

(١ اطلب Mélange de la Fac. Orientale

ذهب توًّا اليها على طريق مستقيم فقطع لبنان على السكّة الرومانيّة التي كانت تؤدي من بيروت الى دمشق . وبهِ يزيد رجوح التقليد الراوي لدخول السيد المسيح في بيروت. فتكون عاصمة لبنان نالها شرف خاصّ ينظمها في جملة الاراضي المقدّسة

وما لا شبهة فيهِ انّ الرسل الحواريين في اسفارهم الى انطاكية وعودتهم منها لاسيما بطرس الصفا وبولس الرسول اجتازوا في بيروت غير مرة. ولا يقبل العقل انهم اهملوا دعوة اهلها الى النصرانيّة . وفي المنقولات عن قدماء المؤرّخين انّ بطرس الهامة عند مرورهِ ببيروت جعل عليها اسقفاً يدعى كوارتوس (Quartus) وهو المذكور في رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ٢٣) وكانت اسقفية بيروت خاضعة في اوّل امرها لكرسي صور لكنّ رقيًّا في الحضارة وشهرتها في العلوم دعت ملوك برزنطية الى الانعام عليها فجعلوها كرسيًّا مطروفوليطيًّا وذلك في اواسط القرن الخامس بفضل الملكين ثاودوسيوس الثاني المعروف بالصغير وفالنتينان وألحقا بها اساقفة جُبيل والبترون وطرابلس وعَرقة وطرسوس . وممّا يشهد لرقي النصرانيّة في بيروت ما ورد في تاريخ ساويرس الانطاكي لزخريا المعروف بالخطيب حيث يروي انّ في تلك المدينة كانت ستُّ كنائس مسيحيّة الواحدة منها باسم الرسول يهوذا او تدّاوس احد تلاميذ المسيح وزعموا انه استشهد في بيروت. وقيل بل هو يهوذا احد السبعين تلميذًا

وتشيّدت احدى تلك الكنائس تذكارًا لحادث ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ثم صارت بعدئذٍ في ايدي رهبان الفرنج قال صالح (ص ١٧) : « ويزعمون ايضاً انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصوّرة ضربها بعض اليهود بسكّين فصارت تنزف دماً ثم نقلت هذه الصورة الى القسطنطينيّة فمنعوا عليها كنيسة يعظمها الفرنج ». يشير صالح الى معجزة جرت على ما زعموا في القرن الخامس وخبرُها مدوّن في مجلة اعمال القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة . والصواب انّ كاتبهُ راهبٌ اخر سيئُهُ عاش بعده . وفي اعمال المجمع النيقاوي الثاني ورد ذكر هذه الايقونة التي كانت اولًا ببيروت ولها عيد يُحتفل بهِ في كنائس الشرق والغرب ويذكرهُ السنكسار الروماني ويعيّنهُ في ٩ من تشرين الثاني . والمرجح انها لم تكن ايقونة بل صليباً وقد يدّعي اهل بَلَنسية في اسبانية انّ ذلك الصليب لا يزال عندهم يكرمونهُ الى ايامنا هذه وقد اثبتنا في مجلّة المشرق تفاصيل خبرهِ (لهُ صلة)